

ثنائية الدلالة في المصطلح البلاغي

اعداد

أ.م.د. خالد شكر محمود

جامعة سامراء _ كلية الآداب _ قسم اللغة العربية

تتاول البحث ظاهرة من ظواهر البلاغة العربية، ألا وهي الدلالة الثنائية لبعض المصطلحات البلاغية، والتي شكلت بمجملها ظاهرة تستحق الوقوف عندها ودراستها دراسة مستفيضة، والتي تمثلت بالأنماط البيانية (المجاز المرسل والعقلي، والمجاز بالاستعارة، والكنائية) وشملت الدراسة أيضًا الألوان البيعية (التورية، والاستخدام، والجناس) وقد أعطت هذه المصطلحات دلالة عميقة وحرية في التعبير عما يرومه المتكلم من معانٍ.

abstract

The research deals with one phenomenon of arab rhetorical phenomene which is it the double meaning of some rhetorical terms. This forms a worth phenomenon For studying . they are presented by rhetorical forms of different types of allegory. Additionally the study includes the different types of albadeas aspects (pun , use , and alliteration). These terms have been given a deep semantic meaning and free of expression of the intended meaning of the speaker.

المقدمة

العربية لغة الثراء والتوسع ، فاللفظة الواحدة حين تقليبها في المعاجم اللغوية يصبح لها أكثر من معنى وهذا هو سر التجدد ومواكبة العصر ولعل وراء ذلك السر أسبابًا كثيرة في مقدمتها أنها لغة القرآن الكريم التي تحدى بها البشرية منذ بزوغ فجر الاسلام الى قيام الساعة اذ قال تعالى: (فليأتوا بسورة من مثله) وبهذا عجزت البشرية على مجاراته وستعجز في المستقبل ، لان الذي تحداهم هو الخالق سبحانه، وفي بحثنا هذا سنقف عن ثنائية الدلالة في بعض المصطلحات البلاغية وما تفرزه من دلالات تسهم في اثراء المعنى من خلال اثاره الذهن وحثه على التأمل والتفكير. إن وصول المصطلح البلاغي الى مرحلة التقعيد جعل منه مصطلحًا ثابتًا نسبيًا في وقتنا الحاضر لكن ثمت مصطلحات في دلالاته الاصلية تدل على ثنائية سواء كانت هذه الثنائية تقوم على المجاز او غيره ، ونحن نعرف في المجاز كل لفظة تقوم اصلا على المعنى الوضعي والمعنى المنقول اليه ولاسيما في المجاز اللغوي والاسنادي والمجاز بالاستعارة ، واما في غير المجاز فالكثير من المصطلحات في علم البديع ايضا تدل على الثنائية منها ما كانت مشاكلة للفظ (المحسنات اللفظية) وتشمل الجناس التام، والمحسنات المعنوية وأخص منها بالذكر التورية، والاستخدام، والابهام، ومرعاة النظر ، وستناول دلالة هذه الثنائيات بالتفصيل. وقام البحث على :المقدمة التمهيد دراسة المصطلح البلاغي الدال على الثنائية واخيرا ارجو أن أكون قد وفقت في اعطاء صورة واضحة عن الدلالات الثنائية للمصطلح البلاغي واثرها في أثراء النص بدلالات جديدة تسهم في زيادة جمالية النصوص سواء كانت دينية او شعري أو نثرية .

التهديد

الثنائية في اللغة : من خلال البحث في المعاجم اللغوية تبين لنا ان معنى كلمة الثنائية تدل على : قال الليث: قال الخليل: اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو: قَدَّ، دَقَّ، شَدَّ، دَشَّ^(١). الكلمة الثنائية: المُشْتَمَلَةُ على حَرْفَيْنِ كَيَدٍ ودمٍ؛ وَقَوْلُهُ أَنَشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: فَمَا حَلَبْتُ إِلَّا الثَّلَاثَةَ! وَالثَّنَى وَلَا قِيلْتُ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالُهَا^(٢): (الثنائي) من الأشياء ما كَانَ ذَا شَقَيْنِ وَالْحُكْمُ الثَّنَائِي مَا اشْتَرَكَ فِيهِ فَرِيقَانِ والمعاهدة الثنائية ما كانت بين أمتين (محدثة)^(٣): الثنائية في الاصطلاح لا نعالي اذا قلنا بأن المعنى اللغوي يقترب كثيرا من المعنى الاصطلاحي فهو في افضل حالاته يدل على ما حمل اللفظ الواحد دلالتين مختلفتين ، والحقيقة ان السياق له دور كبير في تحديد المعنى المراد ، فلا يمكن فصله عن دلالة الألفاظ الثنائية.

المصطلحات البلاغية ذات الدلالة الثنائية

أولا: المجاز: العرب كثيرا ما تستعمل المجاز، وتعدده من مفاخر كلامها؛ فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانته لغتها عن سائر اللغات^(٤). ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه، وهو مصدر جزت مجازاً كما تقول " قمت مقاماً "، وقلت مقالا " حكى ذلك الحاتمي، ومن كلام عبد الله بن مسلم بن قتيبة في المجاز قال: لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً؛ لأننا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأبنت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السعر، ونقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا، والفعل لم يكن وإنما يكون، ونقول: كان الله، وكان بمعنى حدث، والله قبل كل شيء، وقال في قول الله عز وجل: " فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه " لو قلنا لمنكر هذا كيف تقول في جدار رأيت على شفا انهيار؟ لم يجد بدأ من أن يقول: بهم أن ينقض، أو يكاد، أو يقارب، فإن فعل فقد جعله فاعلاً، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من أسنة العجم إلا بمثل هذه الألفاظ^(٥). والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقفاً في القلوب

والأسماء، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالاً محضاً فهو مجاز؛ لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصوا به أعني اسم المجاز باباً بعينه؛ وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه سبب، كما قال جرير ابن عطية: إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيانها وإن كانوا غضاباً أراد المطر لقربه من السماء، ويجوز أن تريد بالسماء السحاب؛ لأن كل ما أظلك فهو سماء، وقال "سقط" يريد سقوط المطر الذي فيه، وقال "رعيانها" والمطر لا يرعى، ولكن أراد النبت الذي يكون عنه؛ فهذا كله مجاز^(١)، وكذلك قول العتابي: يا ليلة لي بجوارين ساهرة ... حتى تكلم في الصباح العصافير فجعل الليلة ساهرة على المجاز، وإنما يسهر فيها، وجعل للعصافير كلاماً، ولا كلام لها على الحقيقة. ومثله قول الله عز وجل إخباراً عن سليمان عليه السلام: "يا أيها الناس علمنا منطق الطير" وإنما الحيوان الناطق الإنس والجن والملائكة، فأما الطير فلا، ولكنه مجاز مليح واتساع، وهذا أكثر من أن يحصره أحد، ومثله في كتاب الله عز وجل كثير، من ذلك قوله تعالى: "واسأل القرية" ومثله "وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم" يعني حبه، ومنه: "فتبارك الله أحسن الخالقين" وهو الخالق حقاً وغيره خالق مجازاً، وقوله: والله خير الماكرين وإنما سمي ذلك مكرراً لكونه مجازة عن مكر، وكذلك قوله: "فبشرهم بعذاب أليم" والعذاب لا يبشر به، وإنما هو أنه مكان البشارة^(٢) لذا أدخلت الاستعارة في المجاز لما فيها من قوة في التشبيه فهو كالأصل في الاستعارة، وهي شبيهة بالفرج له، أو صورة مقتضبة من صورته إلا أن ها هنا أموراً اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة، وبيان صِدْرٍ منها، والتشبيه على طريق الانقسام فيها، حتى إذا عُرِفَ بعض ما يكشف عن حالها، ويقف على سعة مجالها، عُطِفَ عِنان الشرح إلى الفصلين الآخرين، فَوْقًا حَقِيقًا، وَبَيْنَ فَرُوقُهُمَا، ثم يُنصَرَفُ إلى استقصاء الكلام في الاستعارة^(٣). وهنا يمكن ان تفسر الاستعارة في بعض الاحيان حقيقة ومجازا كقوله تعالى لَوَيُؤَمَّ بِحُشْرٍ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٤) فالجلود هنا تُسَرُّ حقيقة ومجازاً، أما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقاً، وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة، وهذا هو الجانب البلاغي، الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة، لما فيه من لطف الكناية عن المكنتى عنه، وقد يسأل هنا في الترجيح بين الحقيقة والمجاز من غير الجانب البلاغي، ويقال: ما بيان هذا الترجيح؟ فيقال: طريقه لفظ الجلود عامٌ، فلا يخلو إمّا أن يراد به الجلود مطلقاً، أو يراد به الجوارح التي هي أدوات الأعمال الخاصة، ولا يجوز أن يراد به الجلود على الإطلاق؛ لأن شهادة غير الجوارح التي هي الفاعلة شهادة باطلة؛ إذ هي شهادة غير شاهد، والشهادة هنا يراد بها الإقرار، فتقول اليد: أنا فعلت كذا وكذا، وتقول الرجل: أنا مشيت إلى كذا وكذا، وكذلك الجوارح الباقية تنطق مقرةً بأعمالها، فترجّح بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح، وإذا أريد به الجوارح فلا يخلو إمّا أن يراد به الكل أو البعض، فإن أريد به الكل دخل تحته السمع والبصر، ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة، وإن أريد به البعض فهو بالفرج أخصّ منه بغيره من الجوارح، لأمرين؛ أحدهما: إن الجوارح كلها قد نكرت في القرآن الكريم شاهدة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج، فكان حمل الجلد عليه أولى، ليستكمل ذكر الجميع، الآخر: إنه ليس في الجوارح ما يكره التصريح بذكره إلا الفرج، فكنتي عنه بالجلد؛ لأنه موضع يكره التصريح فيه بالمسمى على حقيقته^(٥) فإن قيل: إن تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب التفصيل، كقوله تعالى: {فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ} والنخل والرمان من الفاكهة..قلت في الجواب: هذا القول عليك لا لك؛ لأن النخل والرمان إنما ذكر التفصيل لهما في الشكل أو في الطعم، والفضيلة هنا في ذكر الشهادة إنما هي تعظيم لأمر المعصية، وغير السمع والبصر أعظم في المعصية؛ لأن معصية السمع إنما تكون في سماع غيبة، أو في سماع صوت مزمار أو وتر، أو ما جرى هذا المجرى، ومعصية البصر إنما تكون في النظر إلى محرم، وكلتا المعصيتين لا حدّ فيهما، وأما المعاصي التي توجد من غير السمع والبصر فأعظم؛ لأن معصية اليد توجد القطع، ومعصية الفرج توجد جلد مائة أو الرجم، وهذا أعظم، فكان ينبغي أن تخصّ بالذكر دون السمع والبصر، وإذا ثبت فساد ما ذهب إليه فلم يكن المراد بالجلود إلا الفروج خاصة^(٦). ويرى علماء البلاغة أنّ لكلّ مجاز حقيقة؛ لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له، إذ المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى غيرها. وإذا كان كل مجاز لا بُدَّ له من حقيقة نقل عنها إلى حالته المجازية، فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز، فإن من الأسماء ما لا مجاز له، كأسماء الأعلام؛ لأنها وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات^(٧). والمتصفح لكتاب "الخصائص" لأبي الفتح عثمان بن جني، يجد أنه ذكر في المجاز شيئاً يثير التأمل، وذلك أنه قال: لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمعان ثلاثة، وهي الاتساع، والتشبيه، والتوكيد؛ فإن عدمت الثلاثة، كانت الحقيقة ألبنة^(٨). فمن ذلك قوله تعالى: {وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا} ٢ فهذا مجاز، وفيه الثلاثة المذكورة: أما الاتساع: فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال اسماً، وهو الرحمة وأما التشبيه، فإنه شبه الرحمة - وإن لم يصح دخولها - بما يصح دخوله. وأما التوكيد: فهو أنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك

بالحاسة؛ تعالياً بالمخبر عنه، وتفخيماً له إذا صير بمنزلة ما يشاهد ويعاين..^(١٣) ومن أمثلة المجاز قوله تعالى ﴿قَالَيْتُمْ نَنْجِيكَ بِدَبْدَبِكَ لَنْتُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ يونس ٩٢. فمن معاني نجى يخلص أو ينقذ أما معناه في النص القرآني ، نلتيك على نجوة من الأرض ومعنى ببندك: بدرعك، يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية.^(١٤) وقوله تعالى: «إني أراني أعصر خمرا» لأن الخمر لا يعصر ، وإنما كان يعصر عنبا، وهذا القسم داخل في القسم الأول؛ لصفة المشابهة بين المنقول والمنقول إليه، وهو من باب الاستعارة ، لا، بل أوغل في المشابهة من ذاك؛ لأن الخمر من العنب^(١٥) وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِمَّنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الأنعام ١٢٢ ، أي: من كان ضالاً فهديناه، استعير الإحياء من معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حياً للهداية التي هي الدالة على الطريق الموصل إلى المطلوب، والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما إذ لا يوصف الميت بالضلال.^(١٦) ومن أمثلة الاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأصل في البشارة أن تكون في الخير واستعمالها في الشر للتهكم ويسمى «الأسلوب التهكمي» حيث نزل الإنذار منزلة البشارة السارة^(١٧) وبهذا يكون لمصطلح المجاز بأنواعه دلالة ثنائية يراد منها الاتساع ، والتشبيه، والتوكيد

ثانياً: الكناية: فن من فنون التعبير البياني ، وتحمل على الحقيقة والمجاز فهي اينما وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز، وجاز حملها على الجانبين معا، فلفظ اللبس في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ يجوز حمله على الحقيقة والمجاز، وكل منهما يصح به المعنى، ولا يختل، ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن اللبس هو مصافحة الجسد الجسد، فأوجب الوضوء على الرجل إذا لمس المرأة، وذلك هو الحقيقة في اللبس، وذهب غيره إلى أن المراد باللبس هو الجماع، وذلك مجاز فيه، وهو الكناية، وكل موضع ترد فيه الكناية فإنه تجاذبه جانبا حقيقة ومجاز، ويجوز حمله على كليهما معا، وأما التشبيه فليس كذلك، ولا غيره من أقسام المجاز؛ لأنه لا يجوز حمله إلا على جانب المجاز خاصة، ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى، ألا ترى أننا إذا قلنا: "زيد أسد"، لا يصح إلا على المجاز خاصة، وذلك أننا شبهنا زيدا بالأسد في شجاعته، ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى^(١٨). وربما كانت الكناية أبلغ في التعظيم، وأدعى إلى التقديم، من الإفصاح والشرح. وربما أتى من السكوت بما يعجز القول عنه وقد بلغ أقصى حاجته وغاية أمنيته بالإيماءة الإشارة، حتى يكون تكلف القول فضلا، والكلام خطلاً^(١٩). والكناية تقع على ثلاثة أضرب: أحدها: التعمية والتعغطية، كقول النابغة الجعدي: أكنّي بغير اسمها وقد علم الله ... خفيات كلِّ مكتوم وقال ذو الرُّمّة، استراحةً إلى التصريح من الكناية: أحبُّ المكان من أجل أنني ... به أتغنى باسمها غير معجم والثاني - وذلك أحسنه - الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال الله - وله المثل الأعلى: ﴿حِجْلٌ لَكُمْ آيَةَ الصَّيَاوَةِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوُنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْتُمْ وَنِسَائِكُمْ وَأَتَّعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ البقرة: ١٨٧ وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ النساء: ٤٣ وكذلك قولهم في قضاء الحاجة: جاء فلان من الغائط، وإنما الغائط الوادي، وكذلك المرأة، قال عمرو بن معدى كرب الزبيدي: فكم من غائط من دون سلمى ... قليل الإنس ليس به كتيغ . وقال الله جل وعز في المسيح ابن مريم وأمه صلى الله عليهما: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ وَصِدْقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بَيِّنْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ المائدة: ٧٥؛ وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة. و قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُودٌ بِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْظِقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فصلت: 21؛ وإنما هي كناية عن الفروج. ومثل هذا كثير^(٢٠).

والضرب الثالث من الكناية: التفخيم والتعظيم، ومنه اشتقت الكنية وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه، ووقعت في الكلام على ضربين: وقعت في الصبي على جهة التفاؤل؛ بأن يكون له ولدٌ ويدعى ولده كناية عن اسمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانةً لاسمه؛ وإنما يقال: كني عن كذا بكذا، أي ترك كذا إبل كذا، لبعض ما ذكرنا^(٢١). ومن طرق الكناية (التعريض) في طريق الدعابة، فقد سئل ابن سيرين عن رجل، فقال: توفي البارحة. فلما رأى جزع السائل قال: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، وإنما أراد بالوفاة النوم^(٢٢) ومرض زياد، فدخل عليه شريح القاضي يعوده، فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله: كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهي. فقال مسروق: إن شريحا صاحب تعريض، فأسأله. فأسأله. قال: تركته يأمر بالوصية، وينهي عن البكاء^(٢٣). وكان سنان بن مكمّل

التميري يساير عمر بن هبيرة الفزاري يوماً على بغلة فقال له ابن هبيرة: غضّ من عنان بغلتك. فقال: إنها مكتوبة، أصلح الله الأمير. أراد ابن هبيرة قول جرير: فغضّ الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا وأراد سنان قول الشاعر:

لا تأمننّ فزاريًا خلوت به ... على قلوّصك واكتبها بأسيار^(٢٤).

يتبين لنا من خلال النصوص الواردة ان الكناية مصطلح بلاغي تحمل دلالتين المعنى الصريح او الظاهر ومعنى خفي وهو المراد ويؤتى بها لغايات منها ترك التصريح بالشيء الذي يستكره ذكره والتعريض أو التعظيم.

ثالثاً: التورية: علم أن التورية هي أن تكون الكلمة بمعنيين، فتريد أحدهما، فتوري عنه بالآخر، وقد سماها البعض (المغالطة المثلية)^(٢٥). وهو أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض، والنقيض أحسن موقعا، وألطف، وعليه ورد قول المتنبي:

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان

أن رقاب الناس قالت لسيفه: ... رفيقك قيسي وأنت يمانى

فإن شبيبا الخارجي الذي خرج على كافور الإخشيدي، وقصد دمشق وحاصرها، وقتل على حصارها؛ كان من قيس، ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب، وأخبار ذلك مشهورة، والسيف يقال له «يماني» في نسبته إلى اليمن، ومراد المتنبي من هذا البيت أن شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه: أنت يمانى وصاحبك قيسى، ولهذا جانبه السيف وفارقه. وهذه مغالطة حسنة، وهي كالأولى إلا أنها أدق وأغمض.^(٢٦) وكذلك ورد قول بعضهم من أبيات يهجو بها شاعرا، فجاء من جملتها قوله:

وخلطتم بعض القران ببعضه ... فجعلتم الشعراء في الأنعامومعنى ذلك أن الشعراء والأنعام سور من القرآن الكريم ، والشعراء: جمع شاعر، والأنعام: ما كان من الإبل والبقر، وهي من المغالطات الحسنة^(٢٧). فالأول الذي يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة، فمن ذلك قول أبي

الطيب المتنبي: يشلهم بكلّ أقب نهد ... لفارسه على الخيل الخيار

وكلّ أصمّ يعسل جانبه ... على الكعيبين منه دم ممار

يغادر كلّ ملتقت إليه ... ولتبتّه لثعلبه وجار

فالثعلب: هو هذا الحيوان المعروف، والوجار: اسم بيته، والثعلب أيضا هو طرف سنان الرمح؛ فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ، ذكر الوجار في طرف السنان، وهذا نقل المعنى من مثله إلى مثله^(٢٨). مثل قول بعض العرب:

خيلٌ صيّا، وخيل غير صائمة ... تحت العجاج، وأخرى تعلق اللجما
وقيل الصائمة التي تسهل فما هذه الأخرى؟ قال التي تعلق اللحم في الكمين^(٢٩). وقيل الصيام ههنا القيام؛ أي خيل واقفة مستغنى عنها

لكثرة خيلهم فهي واقفة، وخيل تحت العجاج في الحرب، وخيل تعلق اللجما، قد أسرجت وألجمت، وأعدت للحرب^(٣٠).

ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول عمر بن أبي ربيعة من خفيف:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يجتمعان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان

فقد ذكر الشاعر الثريا وسهيلاً ليوهم السامع أنه يريد النجمين المشهورين، لأن الثريا من منازل القمر الشامية، وسهيلاً من النجوم اليمانية، وهو يريد صاحبتة الثريا، وكان أبوها قد زوجها برجل من أهل اليمن يسمى سهيلاً، فتمكن لعمر أن ورى بالنجمين عن الشخصين، ليلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد، وهذه أحسن تورية وقعت في شعر لمتقدم مرشحة، فإن قوله المنكح ترشيح للتورية على قلتها في

أشعار^(٣١). وإذا وصلت إلى ما وقع من التورية في الكتاب العزيز وصلت إلى الغاية القصوى، وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّهَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ يوسف: ٩٥ فلفظ الضلال فيها احتمالان ، وهما الحب وضد الهدى وكيف أهمل أحد الاحتمالين، وهو الحب، واستعمل

دلالاته على ضد الهدى، والمراد ما أهمل لا ما استعمل فستجده أوجز لفظ وأحلاه، والله أعلم^(٣٢)

رابعا: الجناس: وهو مصطلح بلاغي يدل على الثنائية في لفظه ، وفيه: وهو ان يتماثل ركناه ويتفقان لفظاً ويختلفان في المعنى، من غير تفاوت في تصحيح تركيبهما، واختلاف حركتهما، سواء كانا من اسمين، أو من فعلين، أو من اسم وفعل^(٣٣). وعرفه ابو هلال العسكري بقوله: «هو أن يورد المتكلم- في الكلام القصير نحو البيت من الشعر، والجزء من الرسالة او الخطبة- كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها»^(٣٤). وينطبق ذلك على الجناس التام : وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور هي: نوع

الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها، كقوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) (الروم: ٥٥). فالساعة الأولى تعني القيامة، والساعة الثانية تعني مدة من الزمن، ولا عبرة في تعريف الأولى وتتكبير الثانية. وقال السيوطي «ولم يقع منه في القرآن سواه»^(٣٥) والجناس التام أقسام هي:

أ- التام المماثل: ما كان فيه اللفظان المتجانسان من نوع واحد^(٣٦)، اسمين كما في الآية السابقة، أو فعلين نحو (لَمَّا قَالَ لِدِيهِمْ قَالَ لَهُمْ)، فقال الأولى بمعنى نام وقت القيلولة، والثانية بمعنى تكلم، أو حرفين، نحو: (قد يوجد الكريم، وقد يعثر الجواد) فقد الأولى تعيد التأكيد، والثانية تعيد التقليل.

ب- التام المستوفى: وهو ما كان اللفظان المتجانسان فيه من نوعين مختلفين كاسم وفعل،^(٣٧) مثاله قول أبي تمام (الكامل):

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

- جناس التركيب لمرقو: وهو ما كان أحد لفظيه مركباً.

وسمي مركباً لأن أحد لفظيه مركب، وسمي مرفوقاً لأن المركب مؤلف من كلمة وبعض كلمة، كقول الحريري (الطويل):

ولا تله عن تذكار ذنبك، وابكه ... بدمع يحاكي الويل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة لقاءه ومطعم صابه

والجناس في مصابه في البيت الأول ومصابه في البيت الثاني. واللفظ تام في الأول، غير أنه مركب في الثاني؛ فقد أخذت الميم المفتوحة من مطعم وأضيفت إلى (صابه) وهو شجر مرّ مذاق فتمّ الجناس المركب بذلك وتحذث الخطيب القزويني عن أقسام هذا الجناس المركب المرفوق فقسّمه أقساماً منها^(٣٨).

أ- المتشابه: هو ما تشابه فيه اللفظان في الخط^(٣٩). كقول البستي (المتقارب):

إذا ملك لم يكن ذا هبه ... فدعته، فدولته ذاهبه

فاللفظان متشابهان، ولكن الأول مركب من (ذا بمعنى صاحب) وهبه، والثاني غير مركب.

ب- المفروق: هو ما اختلف فيه اللفظان في الخط^(٤٠) كقول البستي أيضاً (م الرمل):

كلّمك قد أخذ الجا ... م، ولا جلم لنا

ما الذي ضرّ مدير ... الجام لو جاملنا

فاللفظان (جام لنا وجاملنا) اتفقا لفظاً واختلفا خطأ فشكلاً جناساً مفروقاً. وبذلك يمكن القول ان مصطلح الجناس تحققت فيه دالتان تختلفان في المعنى

خامساً: الاستخدام هو مصطلح فيه دلالة ثنائية وهو (إن يكون للكلمة معنيان فتحتاج إليهما فتذكرها وحدها تخدم للمعنيين)^(٤١) قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ النساء: ٤٣، "

والصلاة هنا تحمل إن تكون فعل الصلاة أو موضع الصلاة، فاستخدم الصلاة بلفظ واحد لأنه قال سبحانه: "إلا عابري سبيل"، فدل على أنه أراد موضع الصلاة، وقال تعالى: حتى تعلموا ما تقولون فدل على أنه فعل الصلاة. وأنشدوا للبحراني:

فسقى لغضا والساكنيه وإن همو ... شبوهُ بين جوانحٍ وقلوب

فإن لفظ الغضا محتملة الموضع والشجر والسقيا الصالحة لهما، فلما قال والساكنية استعمل أحد معنيي اللفظة، وهو دلالتها بالقرينة على الموضع، ولما قال: شبوهُ: استعمل المعنى الآخر، وهو دلالتها بالقرينة أيضاً على الشجر^(٤٢) ومن ذلك قول بعض العرب:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

فالسماء تحتمل معنيين: المطر، والنبات، فاستخدم المعنيين بقوله: إذا نزل السماء يعني المطر ورعيناه، يعني النبات. وبهذا يكون لمصطلح الاستخدام دالتين مختلفتين الغاية منه ترك المتلقي يستكشف المعنى للفظتين بحسب القرائن، وهنا لا بد من الإشارة الى الفرق بين التورية والاستخدام، وهو ان اللفظ المشترك، إذا لزم استعماله في مفهوميه معاً، فهو الاستخدام، وإن لزم في أحد مفهوميه في الظاهر، مع لمح الآخر في الباطن، فهو التورية^(٤٣).

سادساً: مراعاة النظر: هو أن يجمع في الكلام بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا بالتضاد، وبالقيّد الأخير يخرج الطباق^(٤٤).

فالجمع بين أمرين كقوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿﴾ (الرحمن، ٦٠٥). إنَّ كلمة "النجم" تأتي بمعنى الأجرالم المضيئة في السماء، وهذا المعنى يُلائم ويُناسب كلمتي الشمس والقمر، فهما جرمان أحدهما مُضيء، والآخر مُنير، لكن هذا المعنى للنجم غير مراد النَّصِّ، فكان استخدامه من إيهام التناسب، إذ كان يمكن استخدام كلمة أخرى تؤدي المعنى المراد دون أن يكون فيها إيهام التناسب، ككلمة "النبت". وتأتي كلمة "النَّجْم" بمعنى النبات الذي لا ساق له، يقال لغة: نَجَمَ الشيءُ والنباتُ نجماً ونجوماً إذا طلع وظهر، وهذا المعنى يناسب معنى كلمة الشجر. ناسبت كلمة "النجم" بمعناها غير المراد ما سبقها، وهما الشمس والقمر، وناسبت بمعناها المراد ما جاء بعدها وهو الشجر، وهذا فنٌ بديع، تنبّه له البلاغيون فألحقوه بمراعاة النظير على اعتبار أنَّ فيه إيهام التناسب^(٤٥).

قول أبي بكر بن اللبانة في موشح:

بعض يخاصمني في بعض ... جسمي مقيم وقلبي يمضي

وكيف أسلو وبدري الأرضي ... يدير في الأقحوان الغض

وردية سرقت أنفاسه بالالتماس ... رقت فكانت مثل دمعة في جفن كاس

اذ ناسب الشاعر مناسبة بديعة الى ما بين الأقحوان والورد، وجذب القلوب، وأنشأ الأذواق، في المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التي تستعار منها المحاسن.

الذاتة

اظهرت مجريات البحث بان المصطلح البلاغي في رحلته الطويلة ابتداءً من مرحلة النشوء حتى وصوله الى مرحلة التقعيد قد حدث فيه الكثير من التطورات، ومنها ظهور مصطلحات بلاغية فيها دلالات ثنائية لتواكب هذه اللغة حاجات العصر، لأنها لغة متجددة في كل زمان ومكان وقد توصلت الدراسة الى: ان المجاز بكافة ألوانه واشكاله (المفرد المرسل او المجاز العقلي ، او المجاز بالاستعارة) يدل على ثنائية مقصودة يراد منها التوسع والثراء في اللغة ، وبراعة التعبير، وفيه العدول عن المعنى الوضعي الى المعنى المجازي بالنسبة للمجاز المفرد المرسل اما في المجاز العقلي ففيه الاسناد الى غير الفاعل الحقيقي، وكذلك المجاز بالاستعارة لكن الاختلاف بين الاستعارة والمجاز هو ان الاستعارة تقوم على علاقة المشابهة بين المعنى الاصلي والمجازي والمجاز يقوم على علاقة غير المشابهة.

- اما الكناية ففيها ايضا دلالة ثنائية واضحة واللفظ يطلق فيها على معنيين يراد منهما المعنى غير الحقيقي

- ومصطلح التورية هو الآخر فية دلالة على الثنائية في التعبير لأن اللفظ فيه يدل على معنيين احدهما قريب ومتبادر إلى الذهن وآخر بعيد وهو المطلوب .

- والجناس كان مصطلحا بديعيا فيه دلالة على الثنائية ، لأن اللفظ فيه يعطي دلالتين مختلفتين ، ولاسيما الجناس التام .
- ويأتي الاستخدام ليكون من المصطلحات الدالة على الثنائية ، لأن اللفظ فيه ايضا يدل على ثنائية تقوم على قصدية المتكلم .

الهوامش

(١) العين: باب التاء.

(٢) تاج العروس: باب التاء.

(٣) المعجم الوسيط: باب التاء.

(٤) العمدة في محاسن الشعر: ٢٦٥/١

(٥) المصدر نفسه: ٢٦٦/١.

(٦) المصدر نفسه،

(٧) المصدر نفسه،

(٨) أسرار البلاغة: ٢٩.

(٩) المثل السائر: ٧٢/١.

(١٠) المصدر نفسه: ٥٩/١.

(١١) ينظر: مفتاح العلوم: ١٤١/١.

- (١٢) الخصائص: ٤٤٤/٢.
- (١٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٤/٢ - ٤٤٥.
- (١٤) الكامل في اللغة والأدب: ١٠٤/٤.
- (١٥) المثل السائر: ٣٥٤/١.
- (١٦) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: ٢٦٣/١.
- (١٧) صفوة التفاسير: ١٧٥/١.
- (١٨) ينظر: المثل السائر: ١٨٢/٢، وعلم البيان: ٢٢٠/١.
- (١٩) الرسائل للجاحظ: ٣٠٧/١.
- (٢٠) الكامل في اللغة والأدب: ٢١٦/٢.
- (٢١) المصدر نفسه.
- (٢٢) العقد الفريد: ٢٩٩/٢.
- (٢٣) المصدر نفسه.
- (٢٤) المصدر نفسه.
- (٢٥) المثل السائر: ٢٠٧/٢.
- (٢٦) المصدر نفسه: ٧٧/٣.
- (٢٧) المصدر نفسه: ٧٧/٣.
- (٢٨) المصدر نفسه: ٧٦/٣.
- (٢٩) ديوان المعاني: ٦٧/٢.
- (٣٠) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: ٢٤٣/١.
- (٣١) تحرير التحبير: ٢٦٨ - ٢٦٩.
- (32) المصدر نفسه: ٢٧٠/١.
- (٣٣) ينظر: خزانة الأدب لابن حجة الحموي: ٧٤/١.
- (٣٤) الصناعتين: ٣٢١.
- (٣٥) معترك الأقران للسيوطي: ٣٠٣/١.
- (٣٦) علوم البلاغة (البديع والبيان): ١١٥/١.
- (٣٧) المصدر نفسه.
- (٣٨) عروس الأفراح: ٣٨٥/٢.
- (٣٩) المصدر نفسه.
- (٤٠) المصدر نفسه.
- (٤١) البديع في نقد الشعر: ٨٢/١.
- (٤٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ٢٧٥/١.
- (٤٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموي: ١١٩/١.
- (٤٤) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: ٣٢٣.
- (٤٥) البلاغة العربية: ٣٨٤/٢.

المصادر والمراجع

١- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود

- ٢- البديع في نقد الشعر، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مخلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبلي الشيرازي، تحقيق: الدكتور أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة، ب.ط، ب.ت.
- ٣- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني دمشقي (ت ١٤٣٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦
- ٤- تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بالمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من
- ٥- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ب.ط، ب.ت.
- ٦- خزنة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام
- ٧- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصللي (ت ٣٩٢هـ)، ط.ع.
- ٨- ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٩٥هـ)، دار الجيل - بيروت، ب.ط، ب.ت.
- ٩- رسائل الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام
- ١٠- شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت ٦١٦هـ) تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة - بيروت، ب.ط.
- ١١- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ١٢- كتاب الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ب.ط، ١٤١٩هـ .
- ١٣- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي الكافي، أبو حامد بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العنصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- ١٤- العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٤٦٣هـ)،
- ١٥- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، محمد أحمد قاسم، تحقيق: محي الدين، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط١.
- ١٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار
- ١٧- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،
- ١٨- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد أبو العباس (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة،
- ١٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير الكاتب (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العنصرية للطباعة والنشر - بيروت، ب.ط، ب.ت.
- ٢٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،
- ٢١- المعجم الوسيط، أحمد الزيات، دار الدعوة، ب.ط، ب.ت.
- ٢٢- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه
- ٢٣- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف -